# التربية والتعليم

ذكرنا في العدد السابق من جريدتنا مقالة مضمونها ان من ينظر في تاريخ الامم ويكتنه شؤنها يتجلى له ان القوة والمنعة والغنى وبسطة الملك وسائر موارد السعادة مناطها تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي ينبغي. وهذا الامر وان كان بديهياً عند العارفين بالتاريخ لان الوجود الانساني كله شاهد به ودليل عليه فالسواد الاعظم من أمتنا غافل عنه لا يرجع اليه طرفاً ولا يصيخ له سمعاً والمتنبهون افراد قلائل يردون الصيحات والنبآت ولا ملبي ولا مجيب « كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الاّ دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون »

وان تعجب فعجب قول من سمع الصيحة منهم ان هذا لا ينفع ولا يفيد. ويحتجون بحجج داحضة ذكرنا في المحاورة السابقة منها حجة الجبر وسلب الاختيار وأتينا على تزييفها بما يقطع ألسنة المتشبثين بها بقدر ما يحتمله المقام وبقي لهم حجج أخرى واهية تنبىء عن قلة الاختبار. وانا قبل بسط الكلام على التربية والتعليم نورد ما يثرثر به الكثير من الناس في الاحتجاج على عدم الفائدة منهما ونبين فساده ليكون ذلك أدعى الى تأمله والنظر اليه بعين الاعتبار. ومن الغريب ان ما ادعيناه في المقالة السابقة من ان سعادة الامة في التربية والتعليم مبني على المشاهدة والاختبار التام وكذلك شبه هؤلاء على عدم فائدتها تستند على اختبار ومشاهدة لكن ناقصين غير تامين واني مورده عليك فاستمع لما يتلى

*) نشرت في فاتحة العدد ٣ الذي صدر في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٣ — ١ مارث سنة ١٨٩٨

احتجاجهم على عدم فائدة التعليم في إصلاح الامة

قالوا انا رأينا كثيراً ممن درج في حجر المكاتب ثم عرج منها الى حجرات المدارس العالية فتلقى العلوم والفنون وظهرت عليه امارات النجابة حتى صار قبلة آمال الوطن ومنتهى رجاء أهله ثم لما ألقيت اليه مقاليد الامر فيه كان كلاً على كاهله وقذى في عينه بل كان جائحة متلفة لثماره وصاعقة منقضة على دياره لا يسعى الا لمنفعة شخصه وتنمية ماله وان تلفت في سبيله مصالح العالمين

ومنهم من كان عوناً للاجنبي وعتاداً على امتلاك بلاده يمهد له الصعاب ويزيل من امامه العوائر والعقاب ، ويسهل احتمال سلطته على النفوس بل منهم من باع للاجنبي بلاده بثمن بخس ( وكل ثمن تباع به الاوطان فهو بخس ) أو وعدٍ بانه ينيط به بعض الوظائف أو يكون مقرباً من جنابه الرفيع . فما أغنت التربية عن امثال هؤلاء وماذا افادهم التعليم؟ اما والله لو لم يتعلموا لما تسنى لهم اقتراف هذه المنكرات ولما فطنوا الاساليبها واهتدوا الى طرقها ولكانت مضراتهم محصورة في دائرة ضيقة مخصوصة بنفر قليل

هذا بالنسبة للذين تعلموا العلوم السياسية والحقوقية واما الذين تعلموا العلوم الشرعية الاسلامية فانا نرى الكثير منهم ايضاً قد اتخذها فخاً لصيد الدنيا . يحتال ويعلم الناس الحيل لهضم حقوق الله وحقوق العباد وإذا تبوأ منصباً ( كقضاء أو افتاء ) أو صار محامياً لا يألو ان يجعل الحق باطلا والباطل حقاً ليشتري به ثمناً قليلا فويل لهم مما كسبت أيديهم ويا ليتهم لم يكونوا من المتعلمين

والجواب عن هذا واضح وهو ان هؤلاء وإن تلقنوا بعض الفنون الا انهم لم يتربوا تربية صحيحة يغارون بها على دينهم ووطنهم والعلم من حيث انه ادراك لصور المعلومات لا يقتضي العمل ولئن اقتضى العمل فهو لا يستلزم ان يكون في وجوه الخير والمنفعة لبلاد العامل الا اذا تربى على ذلك . ثم ما يدريك ان المعلمين لهؤلاء الخائنين والمربين لهم في المدارس كانوا من الاجانب أو ممن اصطنعهم الاجانب فصبغوهم بصبغتهم، وجذبوا اعنة قلوبهم فقادوها الى محبتهم، وعلموهم كيف يعملون لمنفعتهم، أو غرسوا في نفوسهم اعتقاد عظمتهم وقدرتهم ،وانه لا يتعاصى عليهم أمر، ولا يعز عليهم مطلب، فذللوهم بذلك واستعملوهم كما تستعمل السوائم من الانعام، أو اقنعوهم بان السعادة لا تنال الا بايديهم، وان الاصلاح لا يأتي الا على أيديهم ، وان قطراً لم يحتلوه محروم من المدنية ورفاهة العيش لا ترى فيه القصور المشيدة، والسرر المنضدة، والطرق الفسيحة ولا تنشأ فيه الحانات والمواخير (أي مواضع الريبة وليس هذا من التهكم فان السكر والفحش من لوازم التمدن الحديث ) الى غير ذلك من المحسنات فعملوا ما عملوا بناء على هذا الاقتناع فهم مجتهدون بأنهم ينفعون أمتهم من حيث ينتفعون بأنفسهم وفي كل صورة من هذه الصور ترى ان التربية والتعليم افادا المعلم والمربي فاجتنى بهما ثمرات المنافع من خصمه ومناصبه ، فكيف يكون أثرهما من مجانسه ومناسبه؟ لعمرك انه لعظيم

احتجاجهم على عدم الفائدة من التربية

قالوا نرى كثيراً من الولدان يهمل أمر تربيتهم الوالدون فلا ينتهرونهم ولا يضربونهم ومع ذلك ترى عندهم الدعة ولين الجانب والدماثة والصدق

والوفاء والامانة الى غير ذلك من محاسن الاخلاق والاعمال . وبعكس ذلك نرى بعض الناس يعامله والده بالشدة والغلظة ولا يضحك في وجهه ولا ينبسط له واذا عمل عملاً قبيحاً صب عليه سوط عذاب أو كما يقول بعض العامة في بلاد الشام (لعب العصا بجلدو) ومع ذلك تراه كذوباً مراثياً شرساً احمقاً خائناً ماكراً فاحشاً متفحشاً سباباً لعاناً وبالجملة منغمساً في الرذائل ملطخاً بجمأة المقاذر مسترسلاً في الفجور ولولا الاعتناء بتربيته لما بلغ هذا المدى ولا انتهى في الفساد الى هذه الغاية

والنتيجة من هذه المشاهدات ان الاخلاق مواهب وحظوظ وليست بالتربية . وان التربية ربما عادت على صاحبها بالخذلان وكانت كالدواء لم يصادف محله فاودى بمتناوله واورده مورد الهلاك

فموسى الذي رباه فرعون مرسل　　وموسى الذي رباه جبريل كافر

والجواب عن هذا في غاية الظهور واليك البيان . ان معاملة الوليد باللين والرفق وأخذه بالرأفة والحلم وعدم اهانته بالسب والشتم كل ذلك من أفضل اساليب التربية وانجعها وانجحها اذا لم يفته الى حد الاهمال وإرسال الحبل على الغارب . وان الشدة والقسوة والاهانة بنبز الالقاب وضروب الايلام مفسدة للاخلاق ومدعاة للشرور والفجور وان امهات الرذائل كالكذب والخيانة والمكر والاحتيال والمداهنة لا تتولد الا من الظلم والضغط على الحرية الشخصية كما سنوضحه فيما بعد

فهذه الحجة دليل على نفع التربية وفائدتها لا على ضررها . على ان زمام التربية ليس بأيدي الوالدين والمعلمين دائماً بل ربما كان بأيدي الخلطاء والمعاشرين أكثر مما هو بأيديهم . وهناك أمر آخر حقيق بالاعتبار

وهو ناموس الوارثة وكل ذلك سنفصله تفصيلا .

وأما قولهم : فموسى الذي رباه فرعون الخ البيت المار فهو من حجج الشعراء التي لا يتبعهم عليها الا كل غوي مبين . ويعنون بموسى الذي رباه جبريل السامري الذي اتخذ العجل لبني اسرائيل ودعواهم تربية جبريل له باطلة وافيكة انتحلها هذا الشاعر الغوي الذي جعلوه قدوة لهم ولعمري ان فيها غميزة بمقام روح القدس وأمين الوحي عليه السلام . والحق ان جبريل انما ربى موسى الرسول لأنه هو الروح الذي يؤيد الله تعالى به الرسل والانبياء لا الغواة الاشقياء (نعوذ بالله من غلبة الجهل)

ويا ليت شعري هل يقولون بأن تربية فرعون لموسى كان لها دخل في ارتقائه الى مقام الرسالة؟ لا وانما يحتجون بذلك على عدم وجود فائدة للتربية بالكلية وجهل هؤلاء الحمق ان الذين اجتنوا فوائد التربية من أهل أوربا وثبتت لديهم بالاختبار والمشاهدة اللذين هما أقوى الادلة والبراهين قد جعل بعض ملاحدتهم كلام هذا الشاعر شبهة على الطعن بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام وزعموا ان نشوءه في بيت الملك وتربيته في حضن السياسة والشريعة المصرية قد نبها فكرته للقيام بتلك الدعوة التي حرر بها أمته وان ما جاء به من الشريعة مقتبس من شريعة المصريين مع تنقيح وتحوير يناسب حال شعب اسرائيل ( نعوذ بالله من هذا الضلال البعيد ) وليس المقام هنا مقام رد شبه الملاحدة ولكن لا بد من كلمة تحول دون تمكن الشبهة من فكر الجاهل وهي اذا جاز ان يأخذ موسى ( عليه السلام ) شريعته من شريعة المصريين فهل يجوز ان يكون ما جاء به من المعجزات التي ادهشتهم وابطلت السحر الذي كانوا يخدعون به الناس مأخوذا من

المصريين؟ كلا بل سول لهم الكفر ما يأفكون

ثم ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للاول لا يتم الا به بل هو جزء منه لان التربية على ثلاثة ضروب تربية الجسم وتربية النفس وتربية العقل وهذا الاخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم لكننا نفرد للتعليم مقالات مخصوصة نبين فيها وظائف المعلم والمتعلم وكيفية التعليم وندخل في هذا البحث في المصنفات وأساليبها ونبدأ بالكلام على القسم المهم من التربية وهو تربية النفس المعبر عنه بتهذيب الاخلاق وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

## التمدن

« لبعض فضلاء المصريين *) »

ماوصلت اليه أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا . والاضطهادات والرزايا . ولا رقي اليه شعب الا وامن غائلة الاضغان والاعتساف . وتحصنت اعماله من جائحة السلب والاعتداء . فصاحبه سر الساكن في منازل الرغد والهناء . واللابس حلة الاسعاد . تقول ولا مغالاة في الحق انه الضامن لتوطيد أركان العمران . والكفيل بتشييد دعائم الاجتماع . كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد من أفراد الكمالات من غير فرق بين ان يكون أدبيا او ماديا حسيا أو معنويا فالتفنن في الصناع فصل من فصوله . والتسابق في ميادين العلوم باب من أبوابه . والتجافي عن مواضع النقيصة جزء من أجزائه . والتحمل بالاخلاق الفاضلة نبذ من جواهره . فاذا لا بدع اذا قلنا ان صاحبه هو السعيد والواطىء

*) هذا في الاصل وهي من مقالات الاستاذ الامام في الوقائع المصرية